فانه نعى نفسه عدة مرات وهو على قيد الحياة وجمع مجموعة كبيرة مما قيل عنه و كتب من التأبين والرثاء

ومن هؤلاء أيضاً جاستروتوم ربو دي رينيير مؤلف كتاب الاكل والحلويات عمل النكتة الآتية : تمارض وأعلن جميع أصحابه بمرضه المصطنع ولازم غرفته مدة أسبوعين كاملين امتنع في خلالها عن مقابلة أي انسان وبعد نهايتهما وزع على جميع أصدقائه ومعارفه رقاع النعي يدعوهم فيها لحضور جنازته عند ظهر اليوم التالي فحضر في الوقت المحدد عدد قليل منهم وكثيرون منهم لم يريدوا أن يضحوا بغدائهم لحضور الجنازة . وكان موضوعا على باب داره نعش مجلل بالسواد . دخل المدعوون قاعة الاستقبال الموشحة بالسواد حيث انتظروا نصف ساعة من الزمان ثم دخل الخادم على أثر ذلك وقال للضيوف : ان الغداء جاهز ياحضرات السادة وفتح الباب على مصراعيه فقام المدعوون وساروا الى غرفة الطعام حيث وجدوا مائدة حوت أشهى الاطعمة وأفخر المشروبات ورأوا صاحب البيت أو الناعي نفسه جالساً في صدر المائدة فهتفوا كلهم هتاف التهاني والانشراح فأجابهم الداعي على ذلك بكل برود: اجلسوا والتهموا الطعام قبل أن يبرد فجلسوا يأكلون ويشربون ويمزحون الى ساعة متأخرة من الليل

وكان دي رينيير يريد بعمله هذا معرفة عدد أصدقائه .

العصر الحجري القديم

تابع المنشور في العدد الماضي

لقد ظن الناس في متأخر الأزمان أن التاريخ البشري القديم قليل المادة لا يحتوي على كثير من الاخبار وذلك لأنهم لم يعثروا على مخلفات الأقدمين اذ أن علم الآثار لم يكن قد ارتقى كما نراه في وقتنا هذا

ولقد عثر المنقبون في لندن على صك يرجع تاريخه الى نحو من مائتي سنة قرأوا فيه عن أحد الصيادلة انه اكتشف عظام احد الفيلة في حفرة حصباء وبجانبها شفرة

سيف مصنوعة من الصوان ولا شك أن هذا الصك التاريخي كتب حالا بعد العثور على ما حواه وفيه رسم الشفرة الا انه لم يعره أحد انتباها فطوي ذكره وبذلك خسر التاريخ وثيقة ثمينة

وظهرت اكتشافات اخرى جليلة في انكلترا وغيرها من الاصقاع الاوروبية وكان نصيبها نصيب ذلك الصك من عدم الاهتمام

ومنذ خمسين سنة خلت لم تكن الادلة على العصر الحجري القديم واضحة جلية لكن عيون العلماء اخيراً اتجهت نحو حب الوقوف على حقيقة وجود الانسان الاول وحالات معاشه فكانت حفريات شتى بعد هذا في فرنسا جاءت بالوف من الالات والعدد الحجرية التي صنعها الصيادون في العصر الحجري القديم باشكال كثيرة واكثر هذه الالات الحجرية يدرسها العلماء الان في متاحف اوروبه العتية بها ومنها نرى كم عانى الانسان الاول من المشقات الصعبة في تشكيل كثير من الاته الحجرية الى أن توصل اخيراً الى النافع المفيد منها

والانسان في كل عصر وجيل يوجد الاشياء التي يفتقر اليها في حياته لمعاشة بسيطة فركبة . وأول آلة صنعها الانسان في العصر الحجري القديم هي شبه فأس طولها من ثمانية الى عشرة انشات وهي ضيقة في اعلاها منبسطة في أسفلها وحادة جداً كان يقطع بها الاغصان والجذور لمنفعته في اشعال النار او في تهذيب الجذوع لعمل القراوة العظيمة

وظل الانسان زمناً طويلا لا يعرف كيف يقبض على آلته هذه حتى اهتدى اخيراً الى عمل مقبض لها نظير ما نشاهد في وقتنا هذا من حالات القدوم والفأس عند البسطاء من الفلاحين

ولقد عثر المنقبون في اماكن كثيرة في اوروبا وفي مواضع غيرها من الكرة الارضية على فؤوس عدة وهي أقدم ما ابقاه العصر الحجري من آثاره الى وقتنا هذا

وان تغيير اشكال الالات في ذلك العصر كان يحدث بكثرة تبعا لاختلاف احوال المعاش . فالصياد الاوروبي في بدء التاريخ القديم كانت حياته في اضطراب

دائم الوفا من السنين خلو يده من آلة يدافع بها عن نفسه لكنه لم يلبث ان وجد السلاح بتحسين في اشكاله وصنع الات خشبية اخرى الا انها اندثرت ولم يبق منها شيء الى يومنا هذا ومن المؤسف انه لم يبق لنا من كل المصنوعات التي اوجدها الانسان القديم أثر بيّن

وكانت الانسان القديم سهول واسعة تصلح للزراعة لكنه تركها لانه لم يدرك الانتفاع منها ولم يختر السكنى الا في الآجام حيث كان يختبيء بين ادغالها ويقتطع عصيه للدفاع عن نفسه من اشجارها وكان ذأبه شن الغارات على الحيوانات والصولة عليها بيد واحدة ولم يكن في الوجود حيوان الا وكانت بينه وبين الانسان عداوة مستمرة ذلك لانه لم يعرف تربية وتدجين الحيوانات مثل الدجاجة والكلب والخروف وأن جد الكلب الذي كان يقفز على كتفي الصياد الانسان الاول بغتة ويفترسه وجدود هذه الحيوانات الاليفة التي تعايش الانسان الآن وتأكل من يده وصحنه لم تكن موجودة قبل في اوروبة فالحصان الذي تركبه اليوم وتروضه كان كالوحوش الكاسرة ينفر من الانسان ويهاجمه

ولاحظ الانسان في آخر زمن العصر الحجري القديم ان هواء الاحراج غير ملائم لصحته اذ كانت تنقصه حرارة المنطقة الاستوائية فاخذ يندفع نحو الجنوب تاركا شمال اوروبة القارس وكان المناخ بارداً ذلك لان الثلج في القطب الشمالي وعلى قمم جبال الالب اخذ ينحدر لاسباب لم يقف عليها علماء الجيولوجيا حتى الان وظل الثلج الشمالي يزحف شيئاً فشيئاً نحو الجنوب حتى غطى انكلترا وبلغ الحدود الجنوبية لنهر النيمس ومجاري الجليد هذه في جبال الالب بلغت في انحدارها وادي الرون حيث الآن مدينة ليون والثلج في اميركا الشمالية في الطرف الجنوبي منها تحدّر من اما كنه سطوراً صخرية بفعل قوة الماء ونرى مثل هذه الصخور في جنوبي بعض الجزائر الشمالية وغربي وادي أوهيو ومسوري وعاين الصياد الاول في العصر الحجري القديم لمعان الاجسام الثلجية الزرقاء المتحللة بتيجان عجيبة تنحدر نحو العشب الاخضر حول مسكنه في الاحراج وتقتلع بانحدارها الاشجار الضخمة وتدفنها في كثير من المغاور والبطاح التي كان يرتادها للصيد

وكثير من الحيوانات الاليفة تفهقرت نحو الجنوب الدافيء الا الانسان أرغم على البقاء في المناخ البارد خوفة من اصطدامه بتلك الوحوش النازحة وعند هذا الحد انتهى العصر الحجري القديم وان الالات الحادة التي كان الصيادون يحملونها وعظام الحيوانات الكبيرة التي كانوا يذبحونها كانت تجرفها السيول من الجبال ـ مأمن الانسان في العصر الحجري القديم ـ فتبقى بين الرجال والحصى في منحدرات الاودية حيث تجري الان انهر فرنسا العظيمة ومن الآثار القديمة المدفونة وجد شيء كثير في ايامنا هذه واهتدى العلماء منها الى تاريخ الانسان القديم .

ان هبوط الثلج في ذلك العهد كان غريباً لكنه نفعنا كثيراً اذ ابان لنا عصراً جديداً من المدنية ندعوه العصر الحجري المتوسط

ـ العصر الحجري المتوسط ـ

لم يكن الصياد الاول قادراً ان يبني بيتاً يأوى اليه بل اتخذ له كنّاً في الصخور الكلسية الوفا من السنين وقضى عمره عاملا عند باب كهفه باهتمام في تشكيل آلاته الصوانية ولما انتقل من دوره الاول القديم في بدء عصره المتوسط ترك قدومه وحطمه لانه رأى نفسه قادراً على أن يوجد بقوة الضغط او الحك آلة جديدة من الصوان والعظم ذات طرف حاد امتازت به على آلته الخشبية الاولى وتوصل بعد هذا الى ان يضع عدداً كبيراً من الالات الصوانية كالازاميل والمثاقب والسكاكين والمجارف والابر ذات رؤوس حادة ساعدته كثيراً في تقطيع العظم والعاج وخاصة قرن الغزال لعمل الالات منها

ان الفيل الباند قدم للصياد الاول عاجه وكان عندما يعوزه شيء من عظم ذوات القرون يترقب الغزلان النافرة من الشمال البارد الى الجنوب الدافيء حيث طاب لها المرعى بالقرب من كهفه ومنذ عرف الصياد القديم انه الصوانية الجديدة الحادة اخذ يعمل لاسياخه العاجية والظرافية المقابض من اغصان الشجر وتوصل بعد ذلك الى صنع القوس والنشاب وحمل في منطقته الخنجر من الصوان والعاج وكان

سيفه غير مستقيم اعوج في جهات كثيرة الا انه مع الايام قوّمه بقالب اتخذه من قرن الغزال

ثم ظهرت في يده عصا جديدة من القرن او العاج كان يرمي بها طريدته لوعدوه وانتفع بها اكثر من انتفاعه ببراعته الخشبية الاولى وتمكن الصياد الاول من خياطة ثوب له بعد ان وجدت في يده ابرته العاجية ذلك لكي يدفع عنه صبارة البرد ووخز شوك الشجر الذي كان يطوف فيه ويتخلله في طلب فريسته التي اتخذ جلدها كساء ولحمها طعاماً له ولاولاده . اما الخيوط الاولى لتلك الابرة العجيبة فقد حبته اياها الطبيعة ايضاً من لحاء الشجر

وكانت حرب عوان بين صياد العصر الحجري المتوسط وبين الحيوانات التي كان يطاردها والتي عاشت مع جده في العصر الحجري القديم بأمن وسلام اذ كان يقتصر في معاشه على النبات والثمر

ان علماء الارخيولوجيا الحديثين عثروا في كهف واسع في جزيرة صقلية على عظام نحو ألفي برنيق (توربري) قتلها صياد العصر الحجري المتوسط واستطاب أهل فرنسا في ذلك العصر البعيد لحوم الخيول الوحشية . ولقد دل العلماء الى ذلك تلك العظام الكثيرة التي وجدها المنقبون والباحثون ركاماً بعضها فوق بعض في سمك ست أقدام في بطن أرض مساحتها عشرة آلاف قدم مربع ووجد بعض المنقبين العظم الذي كان يستعمله الصياد آلة للصفير حين عودته من الصيد الى عائلته الجائعة التي كانت تنتظره في باب الكهف بفارغ الصبر فينهشون طعامهم نهشاً ويرمون الفضلات حولهم تبقى أياماً ترسل رائحة خبيثة نتنة ما كانت لتضر بصحة الاوروبيين في ذلك العهد أبداً

وفي الكهف الذي كان يقطنه وجدت بقايا أجداده متراكمة بعضها فوق بعض منذ آلاف من السنين ولقد عرف أهل هذا الزمن من تلك الآثار أن صيادي العصر الحجري المتوسط كانوا ماهرين في النحت والرسم ونقل عن أحد الاشراف الاسبانيين أنه بينما كان يعزق أرضه في شمالي أسبانيا عثر على كهف كبير وجد في أرضه آلة صوانية وأخرى عظمية وان ابنة له كانت تلعب ذات يوم داخل ذلك الكهف فصرخت

بغته قائلة : الثيران الثيران ! ! !

فنزع الاب لصوت ابنته الصغيرة وأسرع اليها في داخل الكهف فرآها تشير الى سقف الكهف فحدق بنظره فرأى رسوم ثيران أميركية بألوانها الجميلة التي لم يمحها مر ألوف من السنين وانها لهدية ثمينة وتحفة نادرة قدمتها للتاريخ تلك الابنة الصغيرة الاسبانية فكانت درساً كبيراً للعلماء

أما الحياة الروحية والمدارك العقلية عند صياد العصر الاول فليس بين أيدينا شيء من الادلة الراهنة عليها انما عرف بالاستقراء والاستنتاج أن انسان العصر الحجري المتوسط كان يؤله المخلوقات المقدسة حباً لها أو رهبة منها

أما الاعتقاد في الحياة بعد الموت وخلود النفس فكان أمراً غير ملموس ولا معروف عندهم ولكن عرف عن انسان العصر الحجري المتوسط انه كان يعطي حين موته حلية ويسلح بأسلحته التي كان يحملها في حياته ويحفظ جسده في فاووس حجري يدفن تحت الموقد داخل الكهف حيث كان يقاسم عياله ما يجلبه لهم من الصيد

ان أجساد الاقوام الذين طواهم التاريخ موجودة حتى يومنا هذا في طبقات من النواويس ولقد عرف من الآثار التي وجدت فيها ان مدافن الفقراء كانت توضع في القصر تحت الاكوام العميقة حول الكهوف

ان أوروبا في ذلك العصر البعيد كان الثلج يغطيها على الدوام وعلى ذلك شيء كثير من الادلة اليوم لكن ذلك الثلج تدرج نحو الشمال في مدة عشرات الالوف من السنين وذلك بسبب الحرارة التي كانت ترتفع درجتها يوماً بعد يوم ويتدرج الثلج هذا تدرجت شعوب العصر الحجري المتوسط الذين اتبعنا تاريخهم في فرنسا ووجدوا أبواب المغاور نظير ما نشاهد من أحوالهم اليوم وبرعوا في صنع الآلات والاسلحة حرصاً على البقاء في معترك الحياة وللوصول الى الانتفاع بموارد الطبيعة وغناها وهذا النجاح الباهر الذي أحرزه الانسان في آخر العصر الحجري المتوسط كانت الدرجة الاولى للصعود الى مرتقى العصر الحجري الاخير الذي يهمنا كثيراً الوقوف على تاريخه

نعم صباغ

بيت لحم (فلسطين) ستأتي البقية